الفصل الثاني

مخافة الله عند السلف الصالح

ويتضمن مبحثين:

المبحث الأول: مخافة الله عند الصحابة رضوان الله عليهم

المبحث الثاني: مخافة الله عند علماء السلوك

obeikandl.com

obeikandl.com

المبحث الأول

مخافة الله عند الصحابة رضوان الله عليهم

قال تعالى في محكم كتابه الكريم مخاطباً أصحاب رسول الله ﷺ، ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: 110].

وقد خصّهم الرحمٰن بالخيرية بين الأمم لأنهم اهتدوا إلى الله وتربّوا وتعلموا وتفقهوا على يدي الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم؛ فقد ورثهم عليه الصلاة والسلام الدين الكامل؛ من عبادات، ومعاملات، وأحوال شخصية، وأحوال سلطانية، وعقوبات، وحدود، وسير، وآداب، وأخلاق وسلوك، فهم القدوة والمثال. وكان على رأسهم العشرة المبشرون من النبي ﷺ بالجنة، فبتطبيقهم للإسلام علماً وعملاً وسلوكاً، أضحوا نبراساً منيراً لكل مسلم يسعى بشرف الوراثة المحمّدية، ليحلّق في رحابة الإسلام كالطائر بجناحين؛ جناح الشريعة وجناح الحقيقة، والصحابة هم الجيل الأول من المسلمين الذي زكّى نفسه بالفضائل

كالإخلاص ومراقبة الله ﷻ، والزهد، والتوكل على الله، والورع واتقاء الشبهات، والتقوى واجتناب المحرمات، والرضا بقضاء الله، والصبر، والرجاء بالله، والخوف من الله تعالى، وبعدها بلوغ محبة الله عزّ وجل وهي غاية الغايات.

وأبدأ الكلام عن خير الصحابة وأوّل المهاجرين سيدنا أبي بكر الصّديق (هو من اشتهر من الصحابة بحال من الأحوال، وحفظ عنه حميد الأفعال، وعُصِمَ من الفتور والإكسال، وفصل له العهود والحبال، ولم يقطعه سآمة ولا ملال)[1].

1 - أبو بكر الصّدّيق ﷺ

قال الأصبهاني رحمه الله في «حلية الأولياء» : (أبو بكر الصّدّيق، السابق إلى التصديق الملقّب بالعتيق، المؤيّد من الله بالتوفيق، صاحب النبي ﷺ في الحضر والأسفار، ورفيقه

(1) من كلام أبي نُعَيْم أحمد بن عبد الله الأصبهاني؛ (ت 430هـ) حلية الأولياء 1/ 28.

(2) **الأصبهاني**: هو الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله، الأصبهاني، الشافعي، صاحب الموسوعة الصوفية المشهورة «**حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**» في عشرة أجزاء، وكانت ولادته بأصفهان سنة 336هـ ووفاته بها سنة 430هـ، من شيوخه جعفر الخُلدي، والأصم. أنظر (الحفني، عبد المنعم، **الموسوعة الصوفية**، ص: 574).

الشفيق في جميع الأطوار، وضجيعه بعد الموت في الروضة المحفوفة بالأنوار، حيث يقول عالِم الأسرار «ثاني اثنين إذ هما في الغار» إلى غير ذلك من الآيات والآثار).

وقال الأصبهاني رحمه الله: «كان ﷺ من أحواله العزوف[1] عن العاجلة، والأزوف[2] من الآجلة؛ وقد قيل: إنّ التصوّف تطليق الدنيا بتاتاً، والإعراض عن منالها ثباتاً.

عن زيد ابن أرقم أن أبا بكر ﷺ: استسقى فأُتِيَ بإناء فيه ماء وعسَل، فلما أدناه من فيه بكى وأبكى من حوله، فسكت وما سكتوا؛ ثم عاد فبكى حتى ظنّوا أن لا يقدروا على مساءلته، ثم مسح وجهه وآفاق. فقالوا: ما هاجك على هذا البكاء؛ قال كنت مع النبي ﷺ، وجعل يدفع عنه شيئاً ويقول: «**إليكِ عنّي، إليك عنّي**» ولم أر معه أحداً فقلت يا رسول الله أراك تدفع عنك شيئاً ولا أرى معك أحداً؟ قال: «**هذه الدنيا تمثّلت لي بما فيها؛ فقلتُ: لها، إليك عني، فَتَنحّتْ وقالتْ: أما والله لئن انْفَلَتَّ منّي لا يَنْفلِتُ منّي مَنْ بَعْدَكَ**» فخشيتُ أن تكونَ قد لحقَتْني، فذاك الذي أبكاني.

---

(1) العزوف: المبتعد.

(2) الأزوف: المقترب.

وكان ﷺ لا يفارق الجدّ، ولا يجاوز الحدّ، وقد قيل: إن التّصوّفَ الجَدُّ في السلوك إلى ملك الملوك؛ وقيل إنّ التصوّف وقف الهمم، على مولى النّعم؛

عن زيد بن أرقم عن أبيه قال سمعت عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يقول: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق ووافق ذلك مال عندي، فقلت اليوم أسْبَقُ أبا بكر، إنْ سَبَقْتُهُ يوماً، قال: فجئتُ بنصف مالي، قال: فقال لي رسول الله ﷺ: «**ما أبقيتَ لأهلك**» قال: فقلت أبقيتُ لهم نصف مالي، ثم جاء أبو بكر بصدقته، فقال له رسولُ الله ﷺ مثله فقال: أبْقيتُ لهم الله ورسُولَه، قلتُ: لا أسابقُكَ إلى شيء أبداً.

وعن أنس بن مالك، قال: لمّا كان ليلة الغار، قال أبو بكر: يا رسول الله دعْني فلأدْخُل قَبْلَكَ، فإن كانت حيّةٌ أو شيء كانت لي قَبْلَك، قال: «ادخل»، فدخل أبو بكر فجعل يلتمّس بيديه، فكلّما رأى حُجراً جاء بثوبه فشقّه ثم ألقمَهُ الجُحر حتى فعل ذلك بثوبه أجمع، قال فبقي حُجْرٌ فوضع عَقِبَه عليه، ثم أدخل رسول الله ﷺ قال فلما أصبح قال له النبي ﷺ: «**فأين ثوبك يا أبا بكر**»؟ فأخبره بالذي صنع، فرفع النبي ﷺ يده فقال: «**اللهم اجعل أبا بكر معي في درجتي يوم**

القيامة» فأوحى الله تعالى إليه **«إن الله قد استجاب لك»**.

وعند عبد الرحمٰن ابن عبد الله بن سَابط، قال: لما حضر أبا بكر الموتُ دعا عمر ﷺ عنهما فقال له: اتّقِ الله يا عمر، واعلم أن لله عزّ وجلّ عملاً بالنهار لا يقبله بالليل وعملاً بالليل لا يقبله بالنهار، وأنه لا يقبل نافلة حتى تُؤدّى الفريضة، وإنما ثَقُلَتْ موازين مَنْ ثَقُلتْ موازينُه يوم القيامة بإتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم، وحقّ لميزان يوضع فيه الحق غداً أن يكون ثقيلاً، وإنّما خفّت موازين من خفّت موازينه يوم القيامة بإتباعهم الباطل في الدنيا، وخفته عليهم، وحقّ لميزان يوضع فيه الباطل غداً أن يكون خفيفاً، وإن الله تعالى ذكر أهل الجنة فذكرها بأحسنِ أعمالهم وتجاوز عن سيئاتهم فإذا ذَكَرتُهُمْ قلتُ: إني لأَخافُ أن لا أَلْحَقَ بهم، وإن الله تعالى ذكر أهل النّار فذكرهم بأسوأ أعمالهم، وردّ عليهم أحسنه، فإذا ذكرتُهم قلت: إنّي لأرجو أن لا أكون مع هؤلاء، ليكونَ العبدُ راغباً راهباً لا يتَمَنّى على الله، ولا يَقْنَطُ من رحمته عزّ وجلّ، فإن أنتَ حَفظَتَ وَصيَّتي فلا يكن غائبٌ أحبَّ إليك من المَوتِ - وهو آتيكَ - وإن أنتَ ضيَّعْتَ وصيّتي فلا يكن غائبٌ أبغض إليك من الموت لستَ

بمُعْجزِهِ[1].

2 - عمر ابن الخطّاب ﷺ

قال الأصبهاني رحمه الله: (وثاني القوم عمر الفاروق، ذو المقام الثابت المأذوق، أعلن الله تعالى به دعوة الصّادق المصُدوق، وفرّقَ به بين الفصْلِ والهزْلِ، ومهّدَ له من منائح الفضْلِ، شواهد التّوحيد، وبدّد به موادّ التّنديد، فظهرت الدعوةُ ورَسِختِ الكلمةُ، المخصُوصُ من بينَ الصّحابة بالمعارضَة للمبْطلين، والموافقة في الأحكَام لرَبّ العالمين، السكينةُ تنطقُ على لسَانه، والحقُّ يُجري الحكمة عن بيانه، كانَ للحقّ مائلاً، وبالحقّ صَائلاً، وللأثقال حاملاً، ولم يَخفْ دون الله طائلاً).

وقال الأصبهاني: (فكذا سبيل الأبرياء من الشرك والعناد، الأصفياء بالمعرفة والوداد، أن لا يلهيهم باطل من الفعال والمقال، وأن لا يثنيهم في توجههم إلى الحق حال من الأحوال، وأن يكونوا من الحق على أكمل حال وأنعم بال؛

(1) الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله (ت 430هـ)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1387هـ/ 1967م)، 1/ 28، 32، 33، 36.

كان ﷺ يلتمس بالذّلة لمولاه القوّة والتعزُّز، ويترك في إقامة طاعته الرفاهية والتعزّز، وقد قيل: إن التصوّفَ النّبُو عن رتُبِ الدنيا، والسُّموُّ إلى المرتبةِ العُلْيا.

عن طارق بن شهاب: قال: لما قدم عُمَرُ ﷺ الشامَ عَرَضَتْ مَخَاضَةٌ[1]، فنزل عن بعيره ونزع خُفَّية فأمْسَكهُما، وخاضَ الماءَ ومعه بعيرُه؛ فقال أبو عُبَيْدةَ: لقد صنعتَ شيئاً عظيماً عند هؤلاء القوم، فقال عمر: لو أن غيرك يقولُ هذا يا أبا عبيدةَ! إنّكم كنتم أذلّ النّاسِ فأعزّكُم الله برسوله، فمهما تطلبوا العزّ بِغَيْرِهِ يُذِلُّكم الله.

وعن قيس قال: لما قَدِمَ عمرُ ﷺ الشّام، استقبلَهُ النّاسُ وَوجُوهُهم، فقالَ عمرُ: لا أراكم ههنا، إنّما الأمر من ههنا - وأشار بيده إلى السّماء - خَلّوا سَبيلَ جَمَلِي.

وكانَ ﷺ عن فَنَاء المَلاَذِّ مُنْتَهياً، ولِباقي المعادُ مُبْتَغياً، يُلازمُ المَشقّات، ويُفارقُ الشهوات؛ وقد قيل: إنّ التصوّفَ حمْلُ النّفس على الشّدائدِ، الذي (هو) مِنْ أشْرَفِ المَوارِد.

عن أنس قال: تقرقر بطنُ عمر ﷺ، وكان يأكل الزيتَ

(1) المَخَاضةُ: الأرضُ المُوحِلَة.

عامَ الرَمادَة[1]، وكان قد حرّم على نفسه السمنَ، وقالَ فنقر بطنه بإصبعه وقال: تَقَرْقرْ إنه ليس لك عندنا غيره حتى يحيى الناسُ.

وعن سعد بن أبي وقّاص قال: قالَتْ حفصةُ بنت عمر لعمر ﷺ: يا أمير المؤمنين! لو لبست ثوباً هو ألْيَنُ من ثوبكَ، وأكلت طعاماً هو أطيبُ من طعامِكَ، فقد وسَّعَ الله عزّ وجلّ من الرّزق، وأكثرَ من الخَيرِ؟!

فقال: إنّي سأخصمُكَ إلى نفسِك، أما تذكرين ما كان يلقى رسولُ الله ﷺ مِن شدّة العيش؟ فما زال يُذكّرها حتى أبكاها، فقال لها: والله إن قلت ذلك، أما والله لئن استطعتُ لأشاركنّهما[2] بمثل عيشهما الشديد، لعلّي أدركُ معهما عيشهما الرخيّ.

ومن مفاريد أقواله، الدالّة على حقائق أحواله، كلماتُه في الزهد والورع؛ عن عامرٍ الشّعبيَّ قال: قال عمرُ: والله لقد لانَ قلبي في الله حتى لهو ألينُ من الزّبدِ، ولقد اشتدّ قلبي في الله حتى لهو أشدّ من الحجر.

---

(1) عام الرَّمادة: هو عامٌ أصابَ الناس فيه مَجاعةٌ، فأكل الناس فيه الرّماد من شدّة الجُوع؛ فسُميّ عامَ الرَّمادة.

(2) يعني النبي ﷺ وأبا بكر رضي الله عنه.

وعن يحيى بن حجدة قال: قال عمر: لولا ثلاث لأحببتُ أن أكون قد لقيتُ الله؛ لولا أن أضع جبهتي لله، أو أجلس في مجالس يُنتقى فيها طيّب الكلام كما ينقى جيد التمر، أو أن أسير في سبيل الله عزّ وجلّ.

وعن هشام بن الحسن قال: كان عمرُ يمرّ بالآية في وردِهِ فَتَخْنُقُهُ فيبكي حتى يسْقُطَ، ثم يلزمُ بيته حتى يُعادَ يحسبُونَه مريضاً.

وعن ثابت بن الحجاج قال: قال عمر بن الخطّاب: زنُوا أنْفُسَكُم قَبْلَ أن تُوزَنوا، وحاسبُوها قبل أن تحاسَبوا، فإنّه أهون عليكم في الحساب غداً أن تحاسِبوا أنفسكم، وتزّيّنُوا للعرْضِ الأكبر.

وعن الضّحَاكِ قال: قال عمرُ: ليتني كنت كبشاً، أهلي يُسمّنوني ما بدا لهم، حتى إذا كنتُ أسمن ما أكونُ، زارَهُم بعضُ من يحبّون فجعلُوا بعْضِي شَواءً، وبعضي قديداً، ثم أكلوني فأخرجُوني عذِرَةً، ولم أكُ بَشَراً.

وعن ابن عمر قال: كان رأسُ عمر على فخذي في مرضه الذي مات فيه، فقال لي: ضع رأسي على الأرض قال: فقلتُ وما عليك كان على فخذي أم على الأرض؟ قال ضعهُ

على الأرض، قال فوضَعْتُهُ على الأرض، فقال: ويلي وويلُ أمّي وإن لَم يَرْحمني ربّي.

وعن عبد الله بن عباس ﷺ قال: لما طُعنَ عمرُ دخلتُ عليه فقلتُ له: أبشرْ يا أمير المؤمنين، فإنّ الله قد مصّر بك الأمصارَ، ودفعَ بكَ النفاقَ، وأفشى بك الرّزقَ؛ قال أفي الأمارة تثني عليّ يا ابنَ عباس؟! فقلتْ: وفي غيرها، قال: والذي نفسي بيده لودِدْتُ أني خرجتُ منها كما دَخَلتُ فيها لا أجرَ ولا وِزْرَ.

وعن داوود بن علي قال: قال عمرُ بن الخطاب، لو ماتت شاة على شطّ الفُرات ضائعةً لظننتُ أن الله تعالى سائلني عَنْها يوم القيامة.

وعن يحيى بن أبي كثير، عن عمر ابن الخطاب قال: لو نادى مُنادٍ من السّماء: أيّها النّاس أنّكم داخلون الجنة كلُّكم أجمعون إلاّ رجلاً واحداً لخفتُ أن أكون هُوَ. ولو نادى مُنادٍ أيّها الناس، أنكم داخلون النّار إلا رجلاً واحداً لرجوت أن أكون هو.

وعن عبد الله بن الزُبير قال: قال عمرُ بن الخطّاب: إنّ لله عباداً يُميتُون الباطلَ بهجْره، ويُحيُون الحقّ بذكره، رغبُوا

فرُغبُوا، ورهَبوا فرُهبّوا، خافوا فلا يأمنون، أسَرُّوا من اليقين ما لم يُعاينوا فخلطوه بما لم يُزايلُوه، أخْلَصَهُم الخوفُ فكانوا يَهْجُرون ما ينقطعُ عنهم، لا يبقى لهم، الحياة عليهم نعمةٌ، والموتُ لهم كرامةٌ، فزّوّجوا الحورَ العين، وأُخدمُوا الولدانَ المخلّدين[1].

3 - عثمان بن عفّان ﷺ

قال الأصبهاني: (وثالثُ القوم القانتُ ذو النورين، والخائفُ ذو الهجرتين، والمُصلي إلى القبلتين، كان ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ﴾ [المائدة: 93][2] فكان ممّنْ ﴿هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر: 9]، غالبُ أحواله الكرمُ والحياء، والحذر والرّجاء، حَظّهُ من النهار الجود والصيام، ومن الليل السجود والقيام، مبشّرٌ بالبَلْوى، ومُنعّمٌ بالنّجوَى.

وقد قيل: إن التصوّف الانكباب على العمل، تطرّقٌ إلى بُلوغِ الأملِ.

---

(1) الأصبهاني، حلية الأولياء، 1/ 38- 55.

(2) الحائطُ: البُستان المحوّط بالحيطان.

عن الحسن قال - وذكر عثمان وشدة حيائه - فقال: إن كان ليكون في البيت والبابُ عليه مُغْلقٌ، ليفيض عليه الماء، يمنعه الحياءُ أن يُقيمَ صُلْبَه.

وعن ابن عمر ﷺ قال: ثلاثةٌ من قريش، أصبحُ الناسِ وُجُوهاً، وأحسَنُها أخلاقاً، وأثْبتُها حياءً، وإن حدّثوك لم يُكذّبوك، وإن حدّثتهم لم يكذّبوك: أبو بكر الصديق، وعثمان بن عفّان، وأبو عبيدةَ بن الجرّاح.

كان ﷺ مُبشّراً بالمحنِ والبَلْوى، ومحفُوظاً فيها من الجَزعِ والشّكوَى، يتحرّز من الجزعِ بالصّبرِ، ويَتَبَرّر في المحَنِ بالشُكْر.

وقد قيل: إنّ التصوّف الصبرُ على مرارةِ البلْوَى، ليدركَ به حلاوة النّجْوَى.

عن أبي موسى ﷺ؛ أن النبي ﷺ دَخَل حائِطاً[1] وأمرني بحفظِ بابِ الحائط، فجاء رجلٌ يستأذن فقال: «**ائذن لَه وبَشّره بالجنّة**»، فإذا عمر، ثم جاءَ آخر يستأذن، فسكت هُنيهة ثم قال: «**ائذن له وبشره بالجنة على بلْوَى ستُصيبُه**» فإذا عثمانُ بن

(1) أخرجهُ البخاري في صحيحه، كتاب: فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب: مناقب عثمان بن عفان أبي عمرو القُريش رضي الله عنه، ح (3695).

عفّان»[1].

وكان بالمال إلى رضاءِ الله مُتوصّلاً، وببذله لعباد الله مُتَنَفِلاً، ولحظِّ نفسه منه مُتقللاً، وفي لباسه وتطَاعُمهِ مُتعلّلاً.

وقد قيل: إن التصوف: ابتغاء الوسيلة، إلى مُنتَهَى الفَضيلّة.

عن أبي هريرة ﷺ عنه قال: اشتَرى عثمان بن عفّان من رسول الله ﷺ الجنة مرّتيْن بيعَ الخلقِ: حين حفَر بئْرَ رُومة، وحين جهّزَ حبيش العسرة؛ قال النبي ﷺ: «**مَنْ يحفر بئرَ رُومة فله الجنة**» فحفرها عثمان، وقال: «**من جهّز حبيش العسرةِ فله الجنّة**». فجهّزه عثمان[2].

وعن شرحبيل ابن مسلم: أنّ عثمان كان يُطْعِم الناسَ طعامَ الإمارة، ويدخُلُ بيتَهُ فيأكل الخلّ والزّيْت.

وعن عبد الله بن الرومي قال: بلغني أن عثمان قال: لو أن بين الجنّة والنّار ولا أدري إلى أيّتهما يؤمر بي لاخترتُ أن أكونّ رماداً قبل أن أعلم إلى أيتهما أصير.

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب: مناقب عثمان بن عفان أبي عمرو القريش رضي الله عنه. (ح: 2778).

(2) الأصبهاني، حلية الأولياء، 1/ 55- 61.

وعن هانئ مولى عثمان قال: كان عثمان إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته[1].

4 - عليّ بن أبي طالب ﷺ

قال الأصبهاني: (سيّدُ القوم، مُحبّ المشهُودِ، ومحبُوب المعبُود، بابُ مدينة العلم والعُلُوم ورأسُ المخاطَبات، ومُسْتنْبط الإشارات، رايةُ المُهتدين، ونورُ المُطيعين، ووليُّ المتّقين، وإمام العادلين وزينةُ العارفين.

عن عليّ بن الحسين قال: قال عليّ بن أبي طالب ﷺ: إذا كان يوم القيامة أتتِ الدنيا بأحسن زينتها ثم قالت: يا ربّ هَبْني لبعض أوليائك، فيقول الله تعالى: لا اذهبي فأنت لا شيء، أنت أهون عليّ أن أهبك لبعض أوليائي، فتطوى كما يطوى الثوبُ الخلقُ فتُلقَى في النّار.

وكان رضي الله تعالى عنه زاهداً في الدنيا فكشف له الغِطاء، وهدى وبصر فأزيل عنه العمى.

وعن أبي الفرج قال: قال عليّ بن أبي طالب: ما يسرّني لو مِتُّ طفلاً وأدخلت الجنة ولم أكبر فأعرف ربّي عزّ وجلّ.

وعن الحسين بن عليّ عن عليّ قال: أنصح الناس وأعلمهم بالله، أشدّ النّاس حباً وتعظيماً لحرمة أهل لا إله إلا الله.

وعن أبي الزغل قال: قال علي بن أبي طالب: احفظُوا عنّي خمساً، فلو ركبتُم الإبلَ في طلبهنّ لأنْضيْتمُوُهْنّ[1] قبل أن تُدْرِكُوهُنّ.

1 - لا يرجو عبْدٌ إلاّ ربه؛

2 - ولا يخاف إلاّ ذنبه؛

3 - ولا يستحي جاهلٌ أن يسألّ عمّا لا يعلم؛

4 - ولا يستحي عالمٌ إذا سئل كما لا يعلم أن يقول الله أعلم؛

5 - والصّبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صَبْرَ لهُ.

وعن مهاجر بن عمير قال: قال عليّ بن أبي طالب: إنّ أخْوفَ ما أخافُ: اتباعُ الهوى، وطولُ الأمل؛ فأمّا إتّباع الهوى فيصد عن الحق، وأما طول الأمل فينسي الآخرة. ألا وإنّ الدنيا قد ترحّلت مُدبرَةً، ألاَ وإنَّ الآخرة قد ترَحّلتْ مُقْلبةً، ولكل واحد منهما بنُون؛ فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل.

(1) لأنضَيْتُمُوهُن: أي لأَتعبْتُموهُن.

وعن بكر بن خليفة قال: قال عليّ بن أبي طالب: أيّها النّاس إنّكم والله لو حَنَنْتُم حنين الولِهِ العُجّال، ودَعَوْتُهم دُعاء الحَمَام، وجأرْتُم جُؤارَ مُتَبَتِّلي الرُّهبان ثم خرجتَم إلى الله من الأموال والأولاد التماسَ القُربةِ إليه في ارتفاع درجة عنده، أو غفران سيئة أحصاها كتبته، لكان قليلاً فيما أرجو لكم من جزيل ثوابه، وأتخوّف عليكم من أليم عقابه؛ فبالله بالله لو سالت عيونكم رهبة منه، ورغبة إليه، ثم عمّرتم في الدنيا - والدنيا باقية ولو لم تبقوا شيئاً من جهدكم لأنعمِه العظام عليكم، بهدايته إياكم للإسلام، ما كنتم تستحقّون به جنّته، ولكن برحمته ترحمون، وإلى جنّته يصير منكم المُقْسطون، جعلنا الله وإياكم من التائبين العابدين.

وعن الحسن، عن علي قال: طوبى لكل عبدٍ نُؤمةٍ، عرفَ الناس ولم يعرفْهُ الناسُ، عرفَهُ الله برضوان، أولئك مصابيح الهدى يكشف الله عنهم كل فتنة مظلمة، سيُدْخِلُهم الله في رحمة منه، ليس أولئك بالمذاييع البذر[1] ولا الجفاة المرائين.

وعن جعفر بن محمد عن أبيه، عن جدّه: أن عليّاً شيع

(1) المذاييع: من ذاع، يذيع؛ والبذر لكشف: الذي يُفشي السّرّ.

جنّازة فلما وُضعت في لحدها عجّ أهلها وبكوا، فقام وقال: أُوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي ضرب لكم الأمثال، ووقت لكم الآجال وجعل لكم أسماعاً تعي ما عناها، وأبصاراً لتجلوا عن غشاها، وأفئدة تفهم ما دهاها، في تركيب صورها وما أعمرها؛ فإن الله لم يخلقكم عبثاً، ولم يضرب عنكم الذكر صفحاً، بل أكرمكم بالنعم السّوابغ، فاتقوا الله عباد الله وجدّوا في الطلب، فإنّ الدنيا لا يدُومُ نعيمُها، ولا تُؤمن فجائعها، اتّعظوا عباد الله بالعبر، واعتبروا بالآيات والأثر، فكأن قد علقتكم مخالب المنية، بنفخة الصور، وبعثرة القبور وموقف الحساب، كلّ نفس معها سائقٌ يسوقها لمحشرها، وشاهد يشهد عليها بعملها؛ وبُرزت الجحيمُ لها تغيّظ ووعيدٌ، فنزلت بأهل النار من الله سطوة مجيحةٌ، معهم ملائكة يُبشّرونهم بنزلٍ من حميم، وتصليةِ جحيم، عن الله محجوبون، ولأوليائه مُفارقون، عباد الله اتقوا الله، وقدموا للمعاد، وكفى بالله منتقماً وبصيراً، وكفى بالكتاب خصماً وحجيجاً، وكفى بالجنّة ثواباً، وكفى بالنار عقاباً، وأستغفر الله لي ولكم)[1].

(1) الأصبهاني، حلية الأولياء، 1/ 61-86.

المبحث الثاني

مخافة الله عند علماء السُّلوك

قال تعالى في محكم كتابه المبين: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: 28] حثّ المولى جلّ وعلّ عباده على طلب العلم، وبيّن أثره عليهم وكانت أول كلمة نزلت من أمين الوحي جبريل عليه السلام مخبراً عن ربّه سبحانه، إلى قلب الحبيب المصطفى ﷺ: ﴿ٱقْرَأْ﴾.

وقال ﷻ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: 19] والآخر يفيد الوجوب، فقد أمر المولى عزَّ وجلّ بالعلم وجعل فضله عظيماً، ففضْلُ العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب؛ والمُراد بالعلم: العلمُ الشرعي فقد قال ﷺ فيما رواه عن أنس بن مالك: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم، وواضع العلم عند غير أهله كمقلّد الخنازير الجوهر واللؤلؤ والذهب**»[1].

وأوجب ربّ العزّة تبارك وتعالى العلم والعمل معاً،

---

(1) أخرجه ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني (ت 275هـ) في سننه، تح: صدقي جميل العطار، كتاب السنّة، ح (224).

لتكتمل باقة الدين الكامل، وخير من نقتدي به بكامله الحبيب محمد ﷺ، فالوارث المحمّدي يجب أن يتحلّى بصفات الدين الكامل بعُراه الثلاث: الإسلام والإيمان والإحسان، وقد كان لنا في علماء السلوك خيرُ مثال بإيمانهم وعملهم وتقواهم. فكم نحن بحاجة إلى مطالعة هذه الزُّمرة الصالحة من الأمة التي أيّدها الله بنصره؛ ونحن دائماً نطالب بالنصر على الأعداء، ولا نقوى على ذلك؛ لأننا مهزومون مع أنفسنا وغرّتْنا الحياةُ الدنيا وغرّنا بالله الغرور، فالسبيل أن ننتصر على عدوّنا الداخليّ، أي نفوسِنا الأمّارة بالسوء، عندها يؤيّدنا الله سبحانه بالنصر والعزّة. وقد اخترت أقوال طائفَةٍ من العلماء الأفاضل عن الخوف من الله عزّ وجلّ.

1 - مِن أقوال أبي القاسم القُشَيري

قال الإمام القشيري النيسابوري[1]: (الخوف معنى متعلقُهُ في المستقبل، لأنه إنما يخاف أن يحلّ به مكروه أو يفوته محبوب، ولا يكون هذا إلا لشيء يحصل في المستقبل، فإن

(1) **القيشيري النيسابوري**: هو أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، شيخ خراسان في عصره، زهداً وعلماً في الدين، لقبه زين الإسلام، وهو صاحب «الرسالة القشيرية» المشهورة في التصوّف (ت 465هـ). انظر (الحفني، عبد المنعم، الموسوعة الصوفية، ص: 477).

كان في الحال موجوداً فالخوف لا يتعلق به. والخوف من الله تعالى أن يخاف أن يعاقبه الله تعالى في الدنيا أو في الآخرة، وقد فرض الله ﷻ على العباد أن يخافوه، فقال تعالى: ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 175]، وقال تعالى: ﴿وَإِيَّىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [البقرة: 40]، ومدح المؤمنين بالخوف، فقال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: 50].

وقال: «الخوف» هو ارتعاش القلب لما تحمّل من الذنوب. وهو أن يترقب العقوبة، ويتجنّب عيوبه. وهو رعشة السر لما قصر في الأمر. وهو توقع البلاء عند ذكر الخطأ. وهو انزعاج السّريرة لما تحمّل من الجريرة[1].

قال: سمعت الأستاذ أبا علي الدقّاق[2] يقول: الخوف على مراتب: الخوف والخشية والهيبة، وقال أيضاً: الخوف أن لا تعلّل نفسك بعسى وسوف. فالخوف من شروط الإيمان وقضاياه، قال الله تعالى: ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ والخشية:

---

(1) د. قاسم السامرائي، أربع رسائل في التصوف، لأبي قاسم القشيري، ص: 64.

(2) **أبو علي الدقاق**: هو الحسن بن علي بن محمد، أبو علي النيسابوري الأستاذ الدقاق الزاهد، شيخ الصوفية وشيخ أبي القاسم القشيري (ت 406هـ). انظر (الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، (ت 764هـ)، الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط- تركي مصطفى (دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان) 4/ 179.

من شروط العلم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾. والهيبة من شروط المعرفة، قال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: 28].

وقال أبو القاسم الحكيم[1]: الخوف على نوعين: رهبة وخشية، فصاحب الرهبة يلتجئ إلى الهرب إذا خاف، وصاحب الخشية يلتجئ إلى الربّ.

وقال أيضاً: من خاف من شيء هرب منه، ومن خاف من الله عزّ وجل هرب إليه.

قال أبو حفص[2]: الخوفُ سراج القلب به يبصر الخير والشر.

وقال ابن الجلاء[3]: الخائفُ من تأْمَنُهُ المخلوقات.

---

(1) **أبو القاسم الحكيم**: هو أبو القاسم الأنصاري، سلمان بن ناصر بن عمران، إمام المتكلين، الصوفي، الشافعي، تلميذ إمام الحرمين، له تصانيف وشهرة وزهد وتعبّد، شرح كتاب (الإرشاد) وغيره، (ت 511هـ). انظر (الذهبي، محمد بن أحمد (ت 748هـ) سير أعلام النبلاء، تح: مصطفى عبد القادر عطا، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1: 1425هـ/ 2004م).

(2) **أبو حفص النيسابوري**: هو عمرو بن سلم، الزاهد، الإمام، القدوة، الربّاني شيخ خراسان، روى عن حفص بن عبد الرحمٰن الفقيه، أخذ عنه تلميذهُ: أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الحيري (ت 264هـ). انظر (الذهبي، سير أعلام النبلاء، 8/ 592).

(3) ابن الجلاء: هو أبو عبد الله بن الجلاّء، أحمد بن يحيى، القدوة، العارف، شيخ الشام، أخذ عنه: أبو بكر الدقي وغيره (ت 306هـ). أنظر الذهبي، سير أعلام النبلاء، 9/ 473.

وقيل لابن عياض[1]: ما لنا لا نرى خائفاً؟ فقال: لو كنتم خائفين لرأيتم الخائفين، إنّ الخائف لا يراه إلا الخائفون، وإن الثكلى[2] هي التي تحب أن ترى الثكلى.

سُئل الجنيدُ[3] عن الخوف فقال: توقع العقوبة مع مجاري الأنفاس.

وقال أبو سُليمان الداراني[4]: ما فارق الخوفُ قلباً إلاّ خرِّبَ.

وقال حاتم الأصم[5]: لكل شيء زينة، وزينة العبادة

---

(1) **ابن عياض**: هو أبو علي الفضيل بن عياض بن مسعود، التميمي، اليربوعي (105-187هـ)، شيخ الحرم المكّي، خراساني من ناحية مرو، وتوفي بمكة، وأخذ عنه خلق كثير ومنهم الإمام الشافعي، وهو حجّة أهل زمانه. انظر (الحفني، عبد المنعم، الموسوعة الصوفية، ص: 437).

(2) الثكلى: الوالدةُ التي فقدتْ ابنها.

(3) الجنيد: (شيخ الصوفية) هو أبو القاسم الجنيد بن محمد الجنيد، أول من تكلم في علم التوحيد ببغداد، ومولده ونشأته بها، ووفاته سنة 297هـ. وأصله من نهاوند، انظر (الحفني، عبد المنعم، الموسوعة الصوفية، ص: 130).

(4) **الداراني**: هو أبو سليمان عبد الرحمٰن بن أحمد بن عطية العبسي، ينسب إلى داران أو داريا من قرى دمشق، ووفاته سنة 215هـ، وكان في زمنة وتداً وقطباً، ومن تلاميذه أحمد بن أبي الحواري «ريحانة الشام»، ومن أصحابه القاسم بن عثمان الجوعي. انظر (الحفني، عبد المنعم، الموسوعة الصوفية، ص: 197).

(5) **حاتم الأصم**: هو أبو عبد الرحمٰن حاتم بن علوان أو عنوان، وشهرته حاتم الأصم، وهو أعجمي خراساني من بلخ، توفي سنة 237هـ، وكان يقال فيه «لقمان هذه الأمة». انظر (الحفني، عبد المنعم، الموسوعة الصوفية، ص: 40).

obeikandl.com

الخوف، وعلامة الخوف قصر الأمل.

عن عائشة ﵂ أنها قالت: قلتُ يا رسول الله ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: 60]، هم الذين يشربون الخمر ويسرقون؛ قال: «**لا، ولكن هم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون، ويخافون أن لا يُتقبَّل منهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾** [المؤمنون: 61]»[1].

وقال عبد الله بن المبارك[2]: إن الذي يُهيجُ الخوف حتى يسكن في القلب هو دوام المراقبة في السر والعلانية.

قال إبراهيم بن شيبان[3]: إذا سكن الخوف في القلب أحرق مواضع الشهوات منه، وطرد رغبة الدنيا عنه.

وقال أيضاً: ينبغي للقلب أن لا يغلب عليه إلاّ الخوف، فإنه إذا غلب الرجاء على القلب فسد القلب.

---

(1) أخرجه الترمذي في صحيحه، ح (3174) وفي سنده انقطاع لكنه يتقوّى بشواهد أخرى وقد صححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(2) **عبد الله بن المبارك**: هو ابن واضح هو أبو عبد الرحمٰن الحنظلي مولاهم، التركي ثم المروزي، الإمام شيخ الإسلام، عالم زمانه، وأمير الأتقياء في وقته، ولد في 118هـ، حدّث عنه معمر والثوري وغيرهم. انظر (الذهبي، سير أعلام النبلاء، 6/ 500).

(3) **إبراهيم بن شيبان**: هو أبو إسحاق القرميسيني الصوفي، شيخ الجبل في زمانه، صحب إبراهيم الخواص وغيره، (ت 337هـ). انظر (الصّفدي، الوافي بالوفيات، 2/ 228.

وقال الواسطي[1]: الخوفُ والرجاء زِمامان[2] على النُّفوس، لئلاّ تخرجَ إلى رُعُوناتها[3]، وقال أيضاً: إذا ظهر الحق على السرائر لا يبقى فيها فضلة لرجاء ولا لخوف.

وقال أيضاً: لا تغتر بموضع صالح، فلا مكان أصلحُ من الجنّة، فلقي آدم عليه السلام فيها ما لقي، ولا تغتر بكثرة العبادة فإن إبليس بعد طول تعبده لقي ما لقي، ولا تغترّ بكثرة العلم فإن بلعام[4] كان يحسن اسم الله الأعظم فانظر ماذا لقي؟ (حيث كفر). ولا تغتر برؤية الصالحين، فلا شخص أكبر قدراً من المصطفى ﷺ، ولم ينتفع بلقائه أقاربه وأعداؤه.

وسئل الشّبلي[5]: لماذا تصفر الشمس عند الغروب؟ فقال: لأنّها عزلت عن مكان التمام، فاصفرّت لخوف المقام،

(1) **الواسطي**: هو أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمٰن بن مسعود بن عمر الواسطي، البغدادي، الحنبلي، الدمشقي، عماد الدين، صوفي، فقيه، ولد سنة 657هـ-1259م، وتوفي سنة 711هـ-1312م)، من تأليفه شرح منازل السائرين للهروري ولم يتمّه، انظر (كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، 1-2/ 139).

(2) الزّمام: جمعُ أزمّة، وهو: ما يُزمَّ به الدابة أي يُشدّ. وهو المقوَد.

(3) رُعوناتُ النفس: شهواتها وملاذُّها وخروجها عن الحقّ.

(4) بلعام، ويقال له: بلعم بن باعوراء، وكان من علماء بن إسرائيل، فكفر.

(5) **الشبلي**: هو أبو بكر دلف بن حجر، أو ابن جعفر، اسمه الحقيقي مختلف فيه، وشهرته بكنيته، له ديوان «أبو بكر الشبلي» وينسب لقرية شبلة من خراسان وولادته في سُر من رأى سنة 247هـ، انظر (الحفني، عبد المنعم، الموسوعة الصوفية، ص: 333).

وكذا المؤمن إذا قرب خروجه من الدنيا اصفرّ لونُه، لأنه يخاف المقام، فإذا طلعت الشمس طلعت مضيئة، كذلك المؤمن إذا بعث من قبره خرج ووجهه يُشرقُ.

ويُروى عن أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى أنه قال: سألت ربي عزّ وجلّ أن يفتح عليّ باباً من الخوف ففتح، فخفت على عقلي، فقلتُ: يا رب أعطني على قدر ما أطيق، فسكن ذلك عني.

وقال ذو النون المصري[1]: قلتُ لعليم: لِمَ سميّت مجنوناً؟ قال: لما طال حبسي عنه، صرتُ مجنوناً لخوف فراقه، وفي هذا المعنى أنشدوا:

لو أنّ ما بي على صخرٍ لأنحلهُ فكيف يحمله خلقٌ من طين[2]

وقال: «من خاف الله تعالى، ذاب قلبه، واشتدَّ حبه، وصحّ له لبَّه»[3]، وقال: « لا يُسقى المحب كأس المحبة إلا

(1) **ذو النون المصري**: هو يونس بن حسن المصري، المتوفى سنة 896هـ، له في التصوف (**غايات السرائر وآيات البصائر**) الذي انتهى من تأليفه سنة 896هـ. انظر (الحفني، عبد المنعم، الموسوعة الصوفية، ص: 648.

(2) القشيري النيسابوري، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن (ت 465هـ)، الرسالة القشيرية، ص: 125، (دار الخير، دمشق، ط3، 1418هـ/ 1997م).

(3) الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين، 4/ 153.

من بعد أن يُنضِخَ الخوف قلبه»[1].

2 - من أقوال الإمام الغزالي

قال الإمام الغزالي: (الخوفُ من الله تعالى تارة يكون لمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته، وأنّه لو أهلك العالمين لم يُبالِ ولم يمنعه مانع، وتارة يكون لكثرة الجناية من العبد بمقارفة المعاصي، وتارة يكون بهما جميعاً. وبحسب معرفته بعيوب نفسه ومعرفته بجلال الله تعالى واستغنائه وأنه: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: 23]. فتكون قوّة خوفه؛ فأخوف الناس لربّه أعرفهم بنفسه وبربّه؛ ولذلك قال ﷺ: «**أنا أخوفكم لله**»[2]، ثم إذا كملت المعرفة أورثت جلال الخوف واحتراق القلب، ثم يفيض أثر الحرقة من القلب على البدن وعلى الجوارح وعلى الصّفات، أمّا في البدن فبالنُّحُولِ والصّفارِ والغشية والبُكاء.

وأمّا في الجوارح فبكفّها عن المعاصي وتقييدها بالطاعات تلافياً لما فُرط واستعداداً للمستقبل، ولذلك قيل:

---

(1) الشيخ أبو طالب المكي، قوت القلوب، 1/ 225.

(2) حديث: «أنا أخوفكم لله» أخرجه البخاري من حديث أنس بلفظ: «والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له»، وللشيخين من حديث عائشة: «والله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية».

ليس الخائف من يبكي ويمسح عينيه بل من يترك ما يخاف أن يعاقب عليه. وقيل لذي النون: متى يكون العبد خائفاً؟ قال: إذا نزّل نفسه منزلة السقيم الذي يحتمي مخافة طول السّقام.

وأمّا في الصفات فبأن يقمع الشهوات، ويكدّر اللذات، فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة، كما يصير العسل مكروهاً عند من يشتهيه إذا عرف أنّ فيه سُماً، فتحترق الشهوات بالخوف، وأدّب الجوارح، ويحصل في القلب الذّبول والخشوع والذلّة والاستكانة، ويفارقه الكبرُ والحقدُ والحسدُ، ولا يكون له شغل إلا المراقبة، والمحاسبة، والمجاهدة، بالأنفاس واللحظات، ومؤاخذة النفس بالخطرات، والخطوات، والكلمات؛

هذا حال من غلبه الخوف واستولى عليه، وهكذا كان حال جماعة من الصحابة والتّابعين، وقوة المراقبة والمحاسبة والمجاهدة بسبب قوة الخوف الذي هو تألم القلب واحتراقه، وقوة الخوف بحسب قوة المعرفة بجلاله الله وصفاته وأفعاله، وبعيوب النفس وما بين يديها من الأخطار والأحوال.

إذن فالخوف يؤثر في الجوارح بالكفّ والإقدام، ويتجدد له بسبب الكف اسم «**العفة**»، وهو الكف عن مقتضى الشهوة،

وأعلى منه «**الورع**»، فإنه أعم، لأنه كفّ عن كل محظور، وأعلى منه «**التّقوى**»، فإنه اسم للكفّ عن المحظور والشبهة جميعاً، ووراءه اسم «**الصديق**» و «**المقرّب**».

إنّ فضل الخوف يُعرف تارة بالتأمل والاعتبار، وتارة بالآيات والأخبار؛ أما الاعتبار: فسبيله أنّ فضيلة الشيء بقدر غنائه في الإفضاء إلى سعادة لقاء الله تعالى في الآخرة، إذ لا مقصود سوى السعادة، ولا سعادة للعبد إلا في لقاء مولاه والقرب منه؛ فكل ما أعان عليه فله فضيلة، وفضيلته بقدر غايته، وقد ظهر أنه لا وصول إلى سعادة لقاء الله في الآخرة إلاّ بتحصيل محبّته والأنسِ به في الدنيا، ولا تحصل المحبّة إلا بالمعرفة، ولا تحصل المعرفة إلا بدوام الفكر، ولا يحصل الأنس لا بالمحبة ودوام الذكر، ولا تتيسّر المواظبة على الذكر والفكر إلا بانقطاع حب الدنيا من القلب، ولا ينقطع ذلك إلا بترك لذّات الدنيا وشهواتها ولا يمكن ترك المشتهيات إلا بقمع الشهوات، ولا تنقمع الشهوة بشيء، كما تقمع بنار الخوف؛ فإن فضيلته بقدر ما يهجر من الشهوات، وبقدر ما يكفّ عن المعاصي، ويحثّ على الطاعات، وكيف لا يكون الخوف ذا فضيلة، وبه تحصل العفّة والورع والتقوى

والمجاهدة، وهي الأعمال الفاضلة المحمودة التي تقرّب إلى الله زُلْفى.

وأما بطريق الاقتباس من الآيات والأخبار، فما ورد في فضيلة الخوف خارج عن الحصر، وناهيك دلالته على فضيلته، جمع الله تعالى للخائفين الهدى والرحمة والعلم والرضوان، وهي مقامات أهل الجنان؛ قال تعالى: ﴿هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: 154] وقال عزّ وجل: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة: 8] وكل ما دلّ على فضيلة العلم دلّ على فضيلة الخوف؛ لأن الخوف ثمرة العلم، ولذلك جاء في خبر موسى عليه السلام: وأما الخائفون فإن لهم الرفيق الأعلى لا يُشاركون فيه؛ ذلك لأنهم العلماء، والعلماء لهم رتبة مرافقة الأنبياء؛ لأنهم ورثةُ الأنبياء ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾، ومرافقة الرفيق الأعلى للأنبياء ومن يلحق بهم، ولذلك لما خيّر رسول الله ﷺ في مرض موته بين البقاء في الدنيا وبين القدوم على الله تعالى كان يقول: «**أسألك الرفيق الأعلى**»[1]، فإذن إن نظر إلى مثمره فهو العلم،

(1) حديث: لما خيّر في مرض موته كان يقول: «**أسألك الرفيق الأعلى**» متفق عليه من حديث عائشة قالت: كان النبي ﷺ يقول وهو صحيح: «**إنه لم يقبض نبي حتى يرى مقعده من الجنة ثم يخير**» فلما نزل به ورأسه في حجري غشي عليه ثم أفاق فأشخص =

وإن نظر إلى ثمرته فالورعُ والتقوى.

وقال الفُضيل: من خاف الله دلّه الخوف على كل خير؛ وقال الشبليُّ رحمه الله: ما خفت يوماً إلا رأيتُ له باباً من الحكمة والعبرة ما رأيته قطّ.

وقال يحيى بن معاذ: ما من مؤمن يعمل السيئة إلا ويلحقُها حسنتان: خوفُ العقاب، ورجاءُ العفو، كثعلب بين أسدين. فليبكِ ومن لم يستطع فليتباكَ.

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ: ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا، فوالذي نفسي بيده، لو يعلم العلم أحدكم لصرخ حتى ينقطع صوته، وصلى حتى ينكسر صلبه.

فحقيقة الخوف، عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال. ومن أنس بالله، وملك الحق قلبه، وصار ابن وقته مشاهداً لجمال الحق على الدوام، لم يبقَ له التفات إلى المستقبل، فلم يكن له خوف ولا رجاء، بل صار حاله أعلى من الخوف والرجاء، فإنهما زمامان يمنعان النفس عن الخروج إلى رعوناتها فالمحبّ إذا شغل قلبه في مشاهدة

= ببصره إلى سقف البيت ثم قال: «**اللهم الرفيق الأعلى**» فعلمت أنه لا يختارنا، وعرفت أنه الحديث الذي كان يحدثنا وهو صحيح... الحديث.

المحبوب بخوف الفراق كانا ذلك نقصاً في الشهود، وإنما دوام الشهود غاية المقامات)[1].

3 - من أقوال الحارث بن أسد المُحاسبي[2]

قال الحارث بن أسد المحاسبي: (صحّةُ اليقين في ثلاثة أشياء: سُكون القلب إلى الثقة بالله، والانقياد لأمر الله، والإشفاق والوجل من سابق العلم.

ولليقين أول وآخر، فأوّله: الطمأنينة، وآخره: إفراد الله بالكفاية، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: 36]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: 64]، والحسيب هو: الكافي، والمكتفي هو: العبدُ الراضي بما قضى الله تعالى.

وآخر اليقين من وجود أوصاف العبد في مقام الإيمان،

---

(1) **الغزالي**، أبو حامد بن محمد، (ت 505هـ) **إحياء علوم الدين** 4/ 147- (دار القلم، بيروت، لبنان، ط 3).

(2) **المحاسبي**: هو أبو عبد الله الحارث بن أسد، من أهل البصرة، ووفاته ببغداد سنة 243هـ/ 857م، وشهرته المحاسبي، وأكثر من روى عنه هو الحفيد، من مؤلفاته «**الرعاية لحقوق الله عزّ وجلّ**». أنظر (الحفني، عبد المنعم؛ **الموسوعة الصوفية**، ص: 513).

لا في آخر اليقين من العلم، ولن يبلغ ذلك أحد من خلق الله.

ولا يكون الخوف إلاّ بعد اليقين، وهل رأيت خائفاً لم يستيقنه؛ والخوف في ثلاثة أشياء: خوف الإيمان: وعلامته بذل الجهد في مفارقة المعاصي والذنوب[1] وهو خوف المريدين.

وخوف السلب، وعلامته الخشية والإشفاق والورع، وهو خوف العلماء بالله عزّ وجلّ.

وخوف الفوت، وعلامته بذل الجهد في طلب مرضاة الله بوجود الهيبة والإجلال لله عزّ وجلّ، وهو خوف الصّدّيقين.

ومقام رابع في الخوف خصّ الله به الملائكة والأنبياء عليهم السلام، وهو خوف الإعظام، مع أنهم آمنون في أنفسهم بأمان الله لهم، فخوهم تعبّدهم لله إجلالاً وإعظاماً.

والمحبة في ثلاثة أشياء (لا يسمّي المحب محباً لله عزّ وجل إلا بها) - محبة المؤمنين في الله عزّ وجل[2]، وعلامة

(1) أي مفارقة الذنوب الحسية والمعنوية، قال التابعي الجليل محمد بن واسع البصري: لو كان للذنوب ريح ما قدرتم أن تدنوا مني، من نتن ريحي! «**من حلية الأولياء**» لأبي نعيم.

(2) ومن أجمل ما تُفسّرُ به المحبة في الله عزّ وجل: قول التابعي الجليل مسروق بن الأجدع رحمه الله تعالى، وقد قال له رجل: إني لأحبّك في الله، قال مسروق: إنك =

ذلك: كفّ الأذى عنهم، وجلب المنفعة إليهم على سبيل الشريعة المحمّدية.

ومحبة الرسول ﷺ لله عزّ وجل، وعلامة ذلك اتباع سنّته، وقال الله جلّ ذكره: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: 31].

ومحبة الله عزّ وجل في إيثار الطاعة على المعصية، ويقال: ذكر النعمة يورث المحبة[1].

4 - من أقوال ابن عطاء الله السكندري[2]

قال في «الحكَم»: **(إذا أردتَ أن يفتح لك بابُ الرجاء فاشهد ما منه إليك، وإذا أردت أن يفتحَ لك باب الخوف فاشهد ما منك إليه).**

= أحببت الله تعالى، فأحببت من أحبّ الله تعالى؛ من كتاب: **«العلل ومعرفة الرجال»** للإمام أحمد 1/ 73.

(1) المحاسبي، عبد الله الحارث بن أسد البصري، (ت 243)، **رسالة المسترشدين**، تح: عبد الفتاح أبو غدة، ص. 241 دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط 12، 1431هـ/ 2010م).

(2) **السكندري**: هو أحمد بن عبد الكريم بن عطاء الله، وكنيته تاج الدين، وينسب إلى الإسكندرية حيث ولد وعاش إلى أن غادرها إلى القاهرة بعد وفاة شيخه أبي العباس المرسي سنة 686هـ، وهو الإمام في التفسير والحديث والأصول توفي في القاهرة سنة 709هـ، من مصنفاته **«الحكم العطائية»**. انظر (الحفني، عبد المنعم، **الموسوعة الصوفية**، ص: 416).

قال ابن عجيبة في شرحه لهذه الحكمة في كتابه «**إيقاظ الهمم في شرح الحكم**» : (إذا أردت أيها الإنسان أن يتقوى رجاؤك في الكريم المنان، فاشهد ما منه إليك من الإحسان واللطف والمبرة والامتنان، فهل عوّدك إلاّ حسناً، وهل أسدى إليك إلاّ مناً، عليك بسط الرزق ولك هيّأ نعمته، أنعم عليك في هذه الدار بغاية الإنعام، وما قنع لك بذلك حتى أعدّ لك دار السلام باقية مستمرة على الدوّام، ثم أتحفك بالنظر إلى وجهه الكريم تماماً على سابق إحسانه القديم.

وإذا أردت أن ينفتح لك بابُ الحزن والخوف: فاشهد ما منك إليه من الإساءة والتقصير في العبادة، أو من موافقة الشهوة والاسترسال مع الغفلة، فإنك إن شهدت ذلك دام حزنك وقوي خوفك، وربما كان سبباً في سوء ظنك بربك، فتذل قدمٌ بعد ثبوتها؛ وفي الحديث: «**لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم آخرين يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم وهو الغفور الرحيم**»[1]، فدل الحديث على أن شهود الكرم أفضل

(1) رواه مسلم في **صحيحه**، باب سقوط الذنوب بالاستغفار توبة، ح (2749) (4/ 2106)، وأحمد في **مسنده**، عن أبي هريرة، ح (8068) (2/ 309) ورواه غيرهما، والحديث ليس في آخره جملة (وهو الغفور الرحيم).

عند الله من شهود الانتقام.

«وخصلتان ليس فوقهما شيء من الخير، حسن الظن بالله وحسن الظن بعباد الله، وخصلتان ليس فوقهما شيء من الشر، سوء الظن بالله وسوء الظن بعباد الله»[1].

كما في الحديث: وبقيت مرتبة ثالثة وهي الغيبة عن الرجاء والخوف بشهود ما من الله إلى الله وهو مقام أهل الشهود، فلذلك اعتدل أمرهم في جميع الأحوال، نفعنا الله بذكرهم، آمين[2].

وقال ابن عجيبة: (الخوف على قسمين: خوف العوام، وخوف الخواص.

خوف العوام من العقاب والعذاب.

وخوف الخواص من القطيعة والحجاب[3].

---

(1) نصف الحديث الأخير رواه الدّيْلميّ في الفردوس بمأثور الخطاب ح (2988) (2/ 199). ونصّه: «**خصلتان ليس فوقهما شيء من الشّر، الشرك بالله والضر بعباد الله**».

(2) ابن عجيبة الحسني، أحمد بن محمد (ت 1266هـ) **إيعاد الغمم عن إيقاظ الهمم في شرح الحكم**، تح: عاصم الكيالي، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1430هـ/ 2009م)، الباب: 16، ص: 230.

(3) ابن عجينة، أحمد، إيقاظ الهمم في شرح الحكم. 2/ 281.

5 - وقال الشيخ أبو طالب المكي[1]:

(الخوف: هو اسم جامع حقيقة الإيمان، وهو علم الوجود والإيقان، وهو بسبب اجتناب كل نهي، ومفتاح كل أمر، وليس شيء يحرق شهوات النفوس فيزيل آثار آفاتها إلاّ مقام الخوف)[2]. وقال: (أعلى الخوف أن يكون قلبه معلقاً بخوف الخاتمة، لا يكنّ إلى علم ولا عمل، ولا يقطع على النجاة بشيئ من العلوم وإن علت، ولا لسبب من أعماله وإن جلت، لعدم تحقيق الخواتم)[3].

وقال: (يشتمل الخوف على خمس طبقات؛ في كل طبقة ثلاثة مقامات:

فالمقام الأول من الخوف: هو «التقوى»، وفي هذا المقام المتّقون، والصالحون، والعاملون.

والمقام الثاني من الخوف: هو «الحذر»، وفي هذا المقام

---

(1) **أبو طالب المكي**: هو محمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب، واعظ زاهد، فقيه، من أهل الجبل (بين بغداد وواسط) نشأ واشتهر بمكّة. وسكن بغداد وتوفي بها سنة 386هـ، من مؤلفاته **قوت القلوب في التصوف**، مجلدان. انظر (وفيات الأعيان 1/ 491، وميزان الاعتدال 3: 107.

(2) المكّي، أبو طالب، **قوت القلوب**، 1/ 226-241.

(3) المصدر السابق 1/ 281.

الزاهدون، والورعُون، والخاشعون.

والمقام الثالث: هو «الخشية»، وفي هذا طبقات العالمين، والعابدين، والمحسنين.

والمقام الرابع: هو «الوجلُ»، وهذا للذاكرين، والمخبتين، والعارفين.

والمقام الخامس: «هو «الإشفاقُ»، وهو للصدّيقين، وهم الشهداء، والمحبُّون، وخصوصُ المقرّبين.

6 - ويقول الشيخ أحمد الكُمشخَانَويّ النّقْشبَنْدي[1]:

(الخوف على ثلاثة أقسام هي: خوف العام: وهو من عقوبة الله.

وخوف الخاصّ: وهو من فراق الله.

وخوف الأخص: وهو من الله[2].

---

(1) **أحمد الكمشخانوي**: هو ضياء الدين أحمد بن مصطفى بن عبد الرحمٰن الكمشخانوي، النقشبندي المجددي، الخالدي (1227-1311هـ) ونسبته لكمشخانة من تركيا، من كتبه «**جامع أصول الأولياء**». أنظر (الحفني عبد المنعم، **الموسوعة الصوفية**، ص: 498).

(2) الشيخ أحمد الكمشخانوي النقشبندي، **جامع أصول الأولياء**، 1/ 200.

7 - ويقول الغوث الأعظم عبد القادر الكيلاني[1]:

(الخوفُ من النار يُقطّع أكبادَ المؤمنين، ويصفرُ وجوههم، ويحزن قلوبهم، فإذا تمكّن هذا منهم، صب الله عزّ وجلّ على قلوبهم ماء رحمته ولطفه، وفتح لهم باب الآخرة فيرون مأمنها، فإذا سكنوا واطمأنوا وارتاحوا قليلاً، فتح لهم باب الجلال، فقطّع قلوبهم وأسرارهم، وكثر خوفهم أشدّ من الأول، فإذا تمّ لهم، فتح لهم باب الجمال فسكنوا واطمأنوا وتنبّهوا وتبوءوا درجات، هي طبقات شيء بعد شيء)[2].

ويقول: (الخوف شحنة في القلب، ومنوّر له، ومبيّن، ومفسّر)[3].

ويقول: (الخوف هو اضطراب القلوب مما علمت من سطوة المحبوب)[4].

ويقول: (خوف العابدين، هو الخوف من فوت ثواب

---

(1) **عبد القادر الكيلاني** هو: قطب العارفين أبو محمد محيي الدين عبد القادر بن موسى ابن عبد الله الجيلاني أو الجيلي (471-461هـ) صاحب الطريقة القادرية، وأشهر قصائده: «**القصيدة الغوثية**». انظر (الحفني، عبد المنعم، **الموسوعة الصوفية**، ص: 136).

(2) الشيخ عبد القادر الكيلاني، **الفتح الرباني والفيض الرحماني**، ص: 15.

(3) المصدر نفسه، ص: 241.

(4) القادري، ظهير الدين، **الفتح المبين فيما يتعلق بترياق المحبين**، ص: 28.

العبادات.

وخوف العارفين هو الخوف من الهيبة والتعظيم، وهو أشد الخوف، لأنه لا يزول أبداً.

وخوف العاملين هو الخوف من الشرك الخفيّ في الطاعات.

وخوف المحبّين هو الخوف من فوت اللقاء.

وخوف المذنبين هو الخوف من العقوبات)[1].

(1) الشطنوفي، علي بن يوسف، مخطوطة بهجة الأسرار ومعدن الأنوار، ص: 287.

oberikandl.com